

باب الكتب الجديدة

تطور الطفل من الوضعية السيكلولوجية — تأليف هنرى فالون .

أستاذ فى الكوليج دى فرنس بباريس ١٩٤١ . ٢٢٤ ص .

L'Evolution psychologique de l'Enfant. par Henri Wallon.
Professeur au Collège de France. Armand Colin, Paris. 1941

يعتبر الدكتور هنرى فالون من كبار المشتغلين بعلم نفس الطفل وقد مكنته ثقافته الفلسفية والطبية من أن يعالج سيكلولوجية الطفل معالجة شاملة ، فيها عمق الفيلسوف ودقة العالم فى آن واحد . فقد بدأ دراساته الكلينيكية والتجريبية فى أثناء الحرب العظمى الأولى وكانت ثمرة هذه الدراسات كتابه المشهور عن الطفل غير المستقر L'enfant turbulent حيث حاول أن يربط بين مراحل نمو الجهاز العصبى ومراحل النمو العقلى والنفسى . وقد اهتم خاصة بالعلاقات الموجودة بين الوظائف الحسية والحركية وبين الوظائف الإدراكية . ثم اهتم بمراحل نمو شخصية الطفل فى كتابه عن أصول الخلق فى الطفل Les origines du caractère chez l'enfant وبين خاصة أهمية الأزمة التى يمر بها الطفل فى نهاية السنة الثالثة من عمره وسمى هذه المرحلة بالأزمة الأولى لتكوين الشخصية وقد لخص الدكتور فالون جميع دراساته السابقة فى هذا الكتاب الجديد الذى ظهر فى باريس فى أواخر سنة ١٩٤١ . وهو ينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية :

١ — الطفولة وكيفية دراستها ٢ — نواحي النشاط المختلفة فى الطفل وتطوره العقلى

٣ — المستويات الوظيفية

والكتاب أغزر من أن يلخص فى عدة صفحات فلا بد من قراءته بتمعن ، بل إعادة قراءته مراراً لتمثيل كل ما يحويه من حقائق ودراسات عميقة لهذا الطور الهام من أطوار حياتنا وسنكتفى هنا بالإشارة إلى أهم الموضوعات التى عالجها المؤلف . فبعد أن قارن بين الطفل والبالغ مبيناً بإجمال أوجه الاختلاف الموجودة بين عقلية الطفل وعقلية البالغ ، استعرض جميع المناهج المستخدمة فى دراسة الطفل مشيراً إلى أهمية النهج الموضوعى وضرورة الاعتماد على دراسة السلوك من جميع نواحيه وخاصة ما ينطوى عليه أشكال السلوك الحركى من دلالات لتعيين مراحل النمو . وهو يقرر أن كل مرحلة

هى فى نفس الوقت طور من أطوار النمو العقلى وشكل خاص أو نموذج من نماذج السلوك وفى حديثه عن عوامل النمو النفسى لدى الطفل يبين لنا أن علل النمو ليست محصورة فى الحاضر ، بل ترجع إلى النموذج النوعى الذى سيحققه البالغ فيما بعد . هذه العلل موجودة فى نفس الوقت فى المستقبل والماضى . وهذه الحقيقة جد أساسية وهى التى يعبر عنها المنهج التكاملى فى علم النفس عندما يقرر أن كل مرحلة ليست أساساً للمرحلة القادمة فحسب ، بل رمزاً لها .

ويستعرض المؤلف فى القسم الثانى الفعل وأثره فى التطور العقلى ، خاصة فى اكتساب اللغة وكيفية استعمالها . ثم يناقش وظيفة اللعب فى الطفل وكيف يستخدم الطفل أساليب اللعب المختلفة لتقوية قدراته العقلية والتعبير عن نفسه .

ويهتم المؤلف بمناقشة طرق التربية المختلفة لتهديب عقل الطفل وتوجيهه فى اكتساب المعلومات ، مشيراً إلى التأثير المتبادل القائم بين مختلف الوظائف العقلية والحسية والحركية وفى القسم الثالث والأخير يتناول الدكتور فالون بالتفصيل دراسة المجالات الوظيفية المختلفة ، مبيناً أشكالها ومستوياتها . فيعرض لدراسة الوجدانيات ثم الأفعال الحركية ثم تحليل المعرفة وينتهى بدراسة شعور الطفل بذاته كشخصية أخذت تنمو وتثبت ذاتها بصدد الآخرين . وتتناول خاتمة هذا الكتاب القيم النفسى مختلف أعمار الطفولة فى نظرة تأليفية شاملة .

ى م

الشخصية واضطرابات السلوك — مجموعة بحوث تجريبية وكليникаية نشرت تحت إشراف هونت ، ١٩٤٤ جزءان فى ١٢٤٢ صفحة

Personality and the Behavior Disorders. A handbook based on experimental and clinical research. Edited by J. McV. Hunt 2 vol., 1944, pp. 1242. The Ronald Press Company. New York.

وصلت موضوعات علم النفس من الشعب والتعقد إلى حد يصعب عنده لباحث واحد أن يوفى حقها من الدراسة والتحليل . ولذلك نرى المراجع الكبرى فى علم النفس يقوم بتحريرها لفيف من العلماء والأخصائيين . ومن أمثلة هذه المؤلفات الموسوعة الفرنسية الشهيرة فى علم النفس Nouveau Traité de Psychologie التى يشرف على إصدارها العلامة جورج دوماس J. Dumas . وقد ظهر منها حتى عام ١٩٤٠ ستة أجزاء .

والجزء الثامن من دائرة المعارف الفرنسية الخاص بالحياة العقلية الذى أشرف على تحريره الدكتور هنرى فالون H. Wallon والمجموعة التى يشرف على إصدارها كارل مرشيسن C. Murchison فى علم نفس الطفل وعلم النفس التجريبي وعلم النفس الاجتماعى وتطور النظريات فى علم النفس الحديث . وكتاب ريمرت Reymert فى الوجدانيات والانفعالات وكتاب موس Moss فى علم النفس المقارن وغيرها من الكتب النفيسة التى يتحتم دراستها لكل من يريد أن يقف على مختلف نواحي علم النفس ، مطمئنا الى ما يطالع . وقد عرض غيرنا فى هذا الباب لأربعة كتب جديدة من هذه الكتب التى تمتاز بالتأليف الجمعى . وكتاب الشخصية واضطرابات السلوك من هذه الكتب المفيدة التى يشترك فى تحرير فصولها علماء إخصائون ممتازون . فقد قام بتحرير فصوله الخمسة والثلاثين تسع وثلاثون عالماً نخص منهم بالذكر هونت Hunt وهو المشرف على تحرير الكتاب . وجوترى Guthrie وفرنش French وليفين Levin وليدل Liddell ومورفى L.B. Murphy وبلانشارد P. Blanchard وكنر Kanner ولندسى Lindsay وغيرهم من الفلاسفة وعلماء النفس والأطباء . وينقسم الكتاب إلى ثمانية أقسام وستقصر هذا العرض على أهم الموضوعات التى تناولها كل من هذه الأقسام . ويعرض القسم الأول لدراسة الشخصية من الوجهة النظرية ، أى محاولة تعريف الشخصية وتفسير تكوينها وتطورها بطريقة منظمة بإرجاع مبادئ التعريف والتفسير إلى أسس فلسفية أولية . ومن أهم فصول هذا القسم محاولة جوترى لتفسير تكوين الشخصية تبعاً لقوانين التعلم الارتباطى والنزعة السلوكية جد واضحة فى هذه المحاولة .

ويتناول القسم الثانى وسائل تقدير سمات الشخصية وقياسها . فيشير جونز E. D. Jones إلى وسائل الحكم على سمات الشخصية من الوجهة الذاتية البحتة فى حين يوضح مالر Maller قيمة الاختبارات المختلفة التى استخدمت للكشف عن سمات الشخصية وتقديرها من الوجهة الموضوعية . ويعقد هويت White فصلاً هاماً لبيان كيفية استخدام التأويلات التى تتناول نشاط الخيلة وما يسقطه الشخص على العالم الخارجى من ميول ورغبات . وقد اهتم المؤلف خاصة باختبارات رورشخ Rorschach الشهيرة التى تستخدم تأويل بقع الحبر ، مستعرضاً أهم البحوث التى أثارها هذه الاختبارات ومبيناً قيمة نتائجها وأهميتها فى الكشف عن الميول الدفينة التى تحرك سلوك الشخص

أما القسم الثالث فإنه يدور حول ديناميكية السلوك أو بعبارة أخرى دوافع السلوك وحوافزه ، ثم الدراسات التجريبية لفهم اضطرابات السلوك وأخيراً التنويم المغناطيسى ، ويضم هذا القسم ثمانية فصول تناولت الموضوعات الآتية : دراسة كLINIكية

لديناميكية السلوك . الآثار الفسيولوجية للتوتر الانفعالي . تحليل تجريبي للظواهر النفسية اللاشعورية التي كشفت عنها مدرسة التحليل النفسي . مستوى التطوع . تمهيد لإقامة نظرية عامة تفسر الحرمان والتعجيز . طريقة إحداث الأفعال المنعكسة الشرطية وصلتها بإحداث حالات العُصاب بطريقة تجريبية . دراسة تجريبية لاضطرابات السلوك في الفأر . الدراسات التجريبية لتوضيح طبيعة الصراع النفسي ثم مختلف النظريات التي قيلت في تفسير التنويم المغناطيسي

ويتناول القسم الرابع — وهو القسم الأخير في المجلد الأول — والقسم الخامس مقومات الشخصية ومختلف العوامل التي تعين سماتها وخصائصها . ويتناول البحث أولاً العوامل البيولوجية والعضوية ، ثم العوامل النفسية كما يختبرها الشخص ومن حيث تأثيرها في الشعور ، ثم العوامل الاجتماعية .

وتشمل دراسة العوامل البيولوجية والعضوية الموضوعات الآتية : الوراثة ، العوامل الجبلية في تكوين الشخصية ، تأثير إصابات المخ في الشخصية وأخيراً تأثير مختلف العوامل الفسيولوجية في السلوك وخاصة الإفرازات الداخلية والتأثير المتبادل بين الجهاز العصبي ومجموعة الغدد الصماء

وتتناول دراسة العوامل النفسية في تكوين الشخصية المراحل الثلاث الأولى من حياة الإنسان وهي السنة الأولى والثانية من حياة الطفل ، ثم الطفولة ، ثم المراهقة . أما الناحية الاجتماعية فقد انحصرت في دراسة العوامل الثقافية من حيث تأثيرها في الشخصية . ودراسة عوامل البيئة الجغرافية في صلتها بسلوك الإنسان . ثم يعرض الكتاب للجزء الثاني من العنوان وهو اضطرابات السلوك على مختلف أنواعها . فيتناول القسم السادس أهم موضوعات الطب العقلي مركزة حول أمراض الشخصية وما يصاب به الشخص من نقص أو انحراف . وسنقتصر على ذكر عناوين الفصول السبعة التي يتكون منها هذا القسم : اضطرابات السلوك في الطفولة ، الشخصيات المنحرفة والإجرامية ، الشخصيات غير الصالحة للخدمة العسكرية ، حالات العُصاب أي ما يعرف بالأمراض النفسية حالات الذهان الوظيفية أي الأمراض العقلية التي لا تنشأ عن إصابات عضوية أو أمراض جسمية ، معنى الشخصية السيكوپاتية (١) ، وأخيراً حالات التشنج كالصرع مثلاً .

ويعرض القسم السابع لبعض الدراسات الإضافية التي تلقى ضوءاً على فهم اضطرابات السلوك كحالات البله والنقص العقلي . ثم كل ما وصلت إليه من نتائج وتأويلات طريقة رسم الموجات الكهربائية الصادرة عن الدماغ

أما القسم الثامن والأخير فإنه تنحصر موضوعاته فى الناحيتين العلاجية والوقائية للأمراض العقلية واضطرابات السلوك على كافة أنواعها
ومما هو جدير بالذكر عناية كل مؤلف بذكر أهم البحوث التى ظهرت فى الميدان الذى يدرسه ، وتعتبر قوائم المراجع المثبتة فى آخر كل فصل أوفى مجموعة وأنفسها لأهم ما نشر حتى الآن من البحوث التى تدور حول موضوع الشخصية واضطرابات السلوك الإنسانى وقد ظهرت خلال الفصول التى تكون هذا الكتاب القيم المفيدة عدة تيارات فى التفكير السيكولوجى والبحث الطبى العقلى . ومما يسترعى النظر تغلب نزعة التحليل النفسى مع ميله إلى ضبط تفسيراته بالمنهج التجريبى وبما يجرى فى المعامل من تجارب . ثم النزعة الحديثة فى الطب البشرى وهى النزعة السيكوسوماتية التى يعمل زميلنا الدكتور مصطفى زيور على عرضها على صفحات هذه المجلة

ى . م

التحليل النفسى اليوم — مجموعة بحوث نشرت تحت إشراف سندر لورند
(سنة ١٩٤٤ — ٤٠٤ ص .)

Psychoanalysis To-day. Edited by Sandor Lorand, New York International University Press, 1944. 404 pp.

اشترك فى تحرير فصول هذا الكتاب نخبة من كبار علماء التحليل النفسى . كل فى موضوع سبق له التأليف فيه والعناية بدراسته عناية جعلته حجة فيه ، بحيث جاء الكتاب — كما يدل عليه عنوانه — ممثلاً أحسن تمثيل للحالة الراهنة التى وصل إليها البحث فى مختلف فروع التحليل النفسى . على أن الكتاب لم يقصد به أن يكون سفرأً فنياً لا يقوى على تناوله الا المحللون ، بل جاء تصميمه — كما يعلن ذلك رئيس تحريره فى التصدير — بحيث يفيد منه « أطباء العقل ورجال الطب عامة ، والخدام الاجتماعيون والمعلمون وغيرهم ممن تعينهم مشكلات الحياة المعاصرة . فهو يعطى فكرة عامة شاملة عما ساهم به التحليل النفسى فى فنون الشفاء وفى الثقافة العامة . »

ويشمل الكتاب واحداً وثلاثين فصلاً غير المقدمة والتصدير ، قد يمكن تصنيفها فى ستة أبواب هى : الطب والطب السيكوسوماتى . التعليم والخدمة الاجتماعية . الأمراض

(٢) راجع العدد الأول من هذه المجلة ص ١٣ — ٣٥ وفى هذا العدد مقال الدكتور مصطفى

زيور والدكتور نعيم

العُصَابِيَّة (Neuroses) . الأمراض الذهانية (Psychoses) مشكلات العلاج . التحليل النفسى التطبيقى (فى الأدب والفن والدين والاجتماع الخ ..)

أما الفصل الأول فهو مقال كتبه Ferenczi قبيل وفاته (وهو الرئيس السابق للجمعية الدولية للتحليل النفسى) عرض فيه عرضاً موجزاً واضحاً نشأة التحليل النفسى وأثره فى الطب . وفى رأينا أن Lorand قد وفق فى اختياره هذا المقال مدخلا تاريخياً . يأتى بعد ذلك ثلاثة فصول فى الطب النفسى الجسمى كتبها Flanders Dunbar, Smith Ely Jelliffe و Spurgeon English ، ثم خمس مقالات فى سيكولوجية الطفل وما يعرض له من انحرافات نفسية واجتماعية بأقلام Marianne Kris , Oberndorf , I.T. Broadwin . وقد لخص قلم تحرير هذه المجلة مقال Oberndorf T.H. Ames, Melanie Klein فى ذلك مقالان فى الخدمة الاجتماعية والصحة العقلية الأول بقلم Keuworthy والثانى بقلم J. Eisenbud . أما الفصول التى تعالج موضوع الأمراض العُصَابِيَّة فقد أثار Lorand أن يتقدمها مقالان يتناولان دراسة سيكولوجية الشخصية السوية ، الأول بقلم Franz Alexander وموضوعه سيكولوجية الأنا والثانى بقلم Monroe Meyer وموضوعه سيكولوجية الأحلام . ثم يعرض B. Lewin , Kardiner , Brill , E. Simmel فى ست مقالات أهم المشكلات العُصَابِيَّة . ويبسط Van Ophuijsen E. Glover , S. Lorand فى الست مقالات أهم المشكلات العُصَابِيَّة . وينتهى الكتاب بستة فصول تلخص تطبيق التحليل النفسى فى (١) دراسة الدين Ernest Jones و (٢) فى الدراسات الاجتماعية H. Hartmann و (٣) فى مشاكل الإجرام P. Schilder و (٤) فى دراسة الفن E. Kris و (٥) فى دراسة الأدب Wittels و (٦) فى الدراسات الأتروبولوجية Geza Roheim

والكتاب غنى عن التوصية بقراءته لأن تصفح أسماء المساهمين فى تأليفه كاف فى الدلالة على قدره . كما أن سعة نطاق ما يتناوله من المشاكل الحيوية خليقة بأن تزيكه وبأن تحله مكانه فى مكتبة كل مثقف .

الكتاب السنوى فى التحليل النفسى المجلد الأول — سنة ١٩٤٥ ، ٣٧٠ ص .

The Yearbook of Psychoanalysis. Volume I. Managing Editor: Sander Lorand. New York. International University Press 1945. 370 pp.

يطالعنا Lorand الفينة بعد الفينة بالجديد الطريف فى ميدان التأليف والنشر فى التحليل النفسى . وها هو ذا يأتينا هذا العام بمشروع « الكتاب السنوى فى التحليل النفسى » بعد أن جاءنا فى العام الماضى بمشروع كتاب التحليل النفسى اليوم . أما « الكتاب السنوى » فهو على نسق أمثاله من « الكتب السنوية » فى مختلف فنون الطب يضم أهم البحوث الطريفة التى نشرت أثناء العام فى مختلف المجالات والدوريات المختصة . فهو إذن كتاب يخاطب به أهل المهنة من المختصين ممن قد يفوتهم متابعة جميع الدوريات والنشرات العلمية . على أن « الكتاب السنوى فى التحليل النفسى » يختلف عن أمثاله فى الميادين العلمية الأخرى فى أنه لا يلخص البحوث ولا يقتصر على مقتطفات منها بل ينشرها كاملة كما جاءت فى أصولها . ولعل ذلك راجع إلى طبيعة البحوث التحليلية واستعصائها على الأداء . فكان Lorand أراد أن تقع على كل مؤلف تبعة تعبيره عما وصل إليه فى ميدان بحثه من لطيف الأحوال النفسية ومعقدها .

ولا يسعنا هنا إلا أن نشير على سبيل المثال إلى بعض ما تضمنه هذا المجلد الأول من « الكتاب السنوى للتحليل النفسى » من بحوث .

افتتح Lorand هذا المجلد — ولم يكن ذلك غير متوقع — بمقال « للمعلم الأول » فى التحليل النفسى ، نعى سيجموند فرويد . وقد اختار آخر مقال — فيما نعلم — نشر له فى International Journal of Psychoanalysis فى الجزء الأول من المجلد الرابع والعشرين (سنة ١٩٤٣) ، وهو الترجمة الانجليزية لمقال سبق نشره بالألمانية فى Gesammelte Schriften أثناء حياته ، وموضوع المقال ملاحظات فى نظرية تأويل الأحلام وفى تطبيقه ، وثمة مقال طريف بقلم Ernest Jones فى فكرة العقل السليم وآخر بقلم Geza Roheim فى التسامى وآخر بقلم Brill فى: الحداد والملائخوليا والأفعال القهرية، ثم خلاصة حوار طريف بين Fenichel وآخرين حول اضطرابات النوم العُصائية ثم ثلاثه مقالات فى الاضطرابات العُصائية الناشئة عن الحرب وغير ذلك من المقالات وعددها واحد وعشرون .

الطب العقلي والحرب — مجموعة بحوث نشرت تحت إشراف فرنك سليدن
سنة ١٩٤٣ — ٥٥٥ ص

Psychiatry and the War. Edited by Frank Sladen; pp.505,
1943. Charles C. Thomas, Springfield, Illinois.

يضم هذا الكتاب خلاصة وافية للبحوث التي أُلقيت بمؤتمر الأمراض العقلية الذي عقد
سنة ١٩٤٢ بجامعة ميشيجان بدعوة منها ومن مؤسسة ماكريجور . وقد كان الغرض
العام من ذلك المؤتمر عرض أهمية الطب العقلي وعلاقته باضطرابات السلوك عند الإنسان
وأثره في معالجة مشكلات العلاقات الإنسانية على ضوء ما كشفت عنه الحرب
العالمية الثانية .

ولتحقيق ذلك الغرض كان لا بد أن يعيد المؤتمر النظر في نطاق الطب العقلي
وميادينه وأهدافه ليتسنى له أن ينشئ قima جديدة في نظمه وأساليبه .
وقد كانت للمؤتمر أهمية مزدوجة . فإنه بالنسبة للمشتغلين بالأمراض العقلية يساعد على
التوجيه والتفكير الموحد . وبالنسبة لغيرهم يساعد على إيضاح قيمة الطب العقلي وتحديد
مكانه في فهم المشكلات الإنسانية ونصبيه من حلها
والكتاب بعد يعطى صورة شاملة للطب العقلي كما يراه قاده في الولايات المتحدة وكندا
الذين وضعوا على ضوء خبرة الماضي وأساليب الحاضر قima وأهدافاً جديدة كشفتها لهم
شدة الظروف الحربية الراهنة .

والكتاب مقسم إلى خمسة أقسام . فالقسم الأول وهو الخاص بفلسفة الطب العقلي فيبحث
في معنى الطب العقلي وفي نطاقه وأهدافه ويتناول في ذلك علاقته بالمدارس المختلفة في علم
النفس . كما يتناول دلالاته في طب الأمراض الباطنية والجراحة . وفي أمراض الطفولة
والشيخوخة .

والقسم الثاني خاص بالبحث في الطب العقلي ومستقبله ويتناول في ذلك البحث في
الميادين الطبية والسيكولوجية والنفسية الجسمية .

ويشتمل القسم الثالث على علاقة الطب العقلي بتربية الفرد وإنشائه في جميع مراحل
الحياة . فيتناول مشكلات التربية في المدرسة على اختلاف درجاتها . ثم ينتقل إلى الزواج
وحياة الأسرة . ثم الدين والمجتمع الحضري والريفي معاً ، وأخيراً يختتم يبحث علاقة
الطب العقلي بالجريمة والسلوك المُنحَنج (delinquent behavior)

ويشمل القسم الرابع علاقة الطب العقلي بالحرب ، سواء في ذلك القوات المحاربة
أو المدنيين ، ثم يشير إلى الطب العقلي في العلاقات القومية والدولية وإلى أهداف ما

بعد الحرب وإلى الجانب الوقائي في الطب العقلي وإلى الطب العقلي والروح المعنوية والدعاية .

أما القسم الخامس فقد كان خاصاً بمناقشة الموضوعات التي أثّرت في المؤتمر والتعقيب عليها .

وليس من الميسور أن نعطي القارئ ، في هذا العرض السريع لموضوعات الكتاب إلا فكرة جزئية عن المشكلات التي عرض لها بالبحث والتعقيب أكثر من أربعين أخصائياً من المشتغلين بطب الأمراض العقلية في أمريكا ، وقد أدركت أمريكا أن العناية بصحة العقل ينبغي أن تكون في مقدمة ما تعنى به وتسخر في العطاء له والاتفاق عليه ، كما أدركت أن هذه العناية تكون أبقي أثراً وأوفى ثمرة إذا وجهت توجيهها وقائياً ؛ ومن ثم حركتها الضخمة في سبيل الصحة العقلية التي رادت فيها بلاد العالم جميعاً .

وليس لدينا في مصر ما تقارن به أمريكا ولا غيرها من بلدان العالم المتمدين في ميدان الصحة العقلية ، فإن هذه الكلمة لا تزال غريبة على تفكيرنا الإصلاحى أو الإنسانى ونحن لا تزال ننظر إلى المرض العقلي نظرة قدرية مستسلمة جامدة تميز عصور الجهل والتخلف في النظر إلى تلك الأمراض ، وبيننا لا نجد عندنا إلا عدداً محدوداً لا يكاد يجاوز الآحاد من الأخصائيين في المرض العقلي (واحد في المليون من السكان مع السخاء في التقدير) نرى أحد أصحاب بحوث هذا الكتاب ينعى على أمتة قلة من فيها من أخصائى الطب العقلي لأن عددهم لا يتجاوز ٢٢٨٠ أخصائياً (أى بمعدل واحد لكل ٥٧٠٠٠ من السكان) وبيننا لا نجد عندنا عيادة واحدة لتوجيه الطفولة نرى في أمريكا أكثر من ٦٠٠ عيادة ، ثم هي تطلب المزيد .

إن شعار الطب العقلي الآن هو الوقاية ، وهدفه هو « لا ضحايا المرض العقلي فحسب بل السكان أجمعين » ، فأين نحن من العالم المتمدين على هذا القياس ؟

صبرى جرجسى

الشدوذ العقلي والجريمة — مجموعة بحوث نشرت تحت إشراف رزنيوفتس وتورنر

سنة ١٩٤٤ — ٣١٦ ص .

Mental Abnormality and Crime. Edited by L. Radzinoviez and J.W. C. Turner, pp. 316, Macmillan, London. 1944.

هذا كتاب أصدره قسم العلوم الجنائية بكلية الحقوق بجامعة كامبردج ، وهو واحد من سلسلة ظهر منها حتى الآن خمسة أجزاء تحت عنوان (دراسات إنجليزية في العلوم

الجنائية) ، والقصد من إصدار هذه السلسلة المشاركة في دراسة المشكلات الاجتماعية والقانونية التي تنتج من الأعمال الخارجة على القانون وإعادة النظر في تطبيق القانون الجنائي على ضوء ما ينكشف من الدراسة العلمية للجريمة .

وقد قام بوضع هذا الكتاب ثلاثة عشر أخصائياً من أعلام الطب العقلي في إنجلترا ، وحاول كل منهم أن يربط بين الانحراف العقلي في أحد مظاهره وبين السلوك الخارج على القانون ، على أن هناك نقطة قد يتعثر الباحث السطحي عندها ، أشار إليها محررا الكتاب وخيراً فعلاً ، في أن الانحراف العقلي لا يعنى الجنون وحده ، وليس كما كان يظن من قبل ، مقصوراً عليه ، فإن الدراسات الحديثة في الطب العقلي تنظر الى الانحراف نظرة شاملة بعيدة الأفق وتكشف فيه عن أنماط متعددة لا تكاد تقع تحت حصر ، ومن ثم فإنها تراه بعيد التغلغل في المجتمع ، عميق التأثير في حياة الجماعة

والهدف الأساسى الذى يتجه اليه بحث الجريمة الآن هو جُناح delinquency الصغار فإن ٥٠٪ من جميع الخارجين على القانون إما من الأطفال أو المراهقين أو صغار الشبان . وهؤلاء هم الذين يحدى معهم العلاج ويقوى الأمل في ردّهم الى دائرة التكييف الاجتماعى ، وهم أيضاً الذين يصيرون فيما بعد الى تعود الإجرام اذا أهمل شأنهم .

وقد عرض ما كينفن MacNiven للجريمة في مختلف الحالات الذهانية وعالج بصفة خاصة التبعة الجنائية فيها ، وهو يرى أنه من الخير أن يعد كل مذنب ، سواء أكان عاقلاً أم مجنوناً ، مسئولاً ، وإن لم يكن بالضرورة مستحقاً للعقاب

وعرض جلسبى Gillespie للجريمة في حالات العصاب وأبان علاقة السلوك المجنح أو المضاد للمجتمع بالصراع النفسى ، وأوضح كيف تكون الجريمة عارضاً في بعض الحالات العصائية

أما علاقة السلوك المنحرف بالنقص العقلى فلعلها أقدم أنماط الانحراف العقلى في الجريمة عهداً بالدرس وأوفرها حظاً من عناية الباحثين ، وقد عرض لويس Lewis لها وأشار الى أنه من العلاجات الطبية أن يتعاون الطب والقانون في بحث المشكلات الناتجة من النقص العقلى ، فإن الطب أكثر ما يعنى بالفرد والقانون بالجماعة ، والتأليف بين هذين الاتجاهين من أهم ما يواجهه العلوم الجنائية في الوقت الحاضر

وعرض هندرسون Henderson للسيكوباتية والسلوك الإجرامى وأبان أن الجريمة ليست نتيجة محتومة للحالة السيكوباتية . وقد عنى بصفة خاصة بإيضاح أهمية التاريخ المفصل في التمييز بين جرائم السيكوباتية وغيرها من الجرائم الأخرى . وفى رأيه أن لب المشكلة ينحصر في الوسائط الوقائية بجوانبها التعليمية والاجتماعية والطبية التي ينبغى أن تبدأ من بواكير الطفولة

وعرض ما كلمان MacCalman للاضطرابات الوظيفية التي تعقب الإصابات ، مشيراً إلى مظاهرها العصبية والذهانية المختلفة وإلى مشكلة التعويض الوثيقة الصلة بها . وفي رأيه ان الاهتمام ينبغي أن يحول من التعويض الى العلاج ، وهو ميسور إذا اكتشفت هذه الحالات في طور مبكر وأعطيت علاجاً نفسياً مناسباً

أما إيست East فقد عرض للعوامل الجسمية في السلوك الإجرامي وذكر النظرية الانتروبولوجية في الجريمة ، كما أشار إلى البحوث الحديثة عن علاقة القامة والوزن والغدد الصماء ومختلف الحواس بالسلوك . وعرض لبحوث روزانوف Rosanoff وكرانز Kranz وغيرها فيما يتعلق بالتوائم ، كما عرض لنماذج كريتشمر Kretschmer في الجسم والخلق وعلاقتها بالسلوك . وهو ينقد الرأي الذي يدعو الى تعقيم المجرمين ، لأننا لا نستطيع القول بأن الجريمة تورث ، ويرى الاستعانة بالوسائط الحديثة (مثل الرسم الكهربائي للمخ) في تجلية الغموض الذي يحيط ببعض الحالات

وفي الكتاب فصل مفيد لسكوت Scott عن علاقة الخمر بالسلوك الإجرامي وفصل آخر لايس East عن الجرائم الجنسية يتضمن طائفة من المقترحات التي ترمي إلى وقاية المجتمع وصيانة مصلحة المذهب معاً . وفيه بحث مطول عن جناح الأحداث تناول بيرس Perce فيه السمات الجسمية العقلية ، وأثر العوامل الاجتماعية والأسرية وترتيب الميلاد في السلوك المجنح . وعرض رودولف Rudolf بعد ذلك للعلاقة بين الحياة العسكرية والسلوك الإجرامي

واختتم الكتاب بفصلين عن تشخيص الجناح وعلاجه ، أحدهما تقرير لجلوفر Glover عن عمل معهد العلاج العلمي للجناح في السنوات الخمس من ١٩٣٧ — ١٩٤١ ، مبيناً فيه عدد الحالات التي عولجت (٧١٩ حالة) والوسائط التي أتبعت في تشخيصها وعلاجها والنتائج التي وصل اليها وما يرجو بالخير للمستقبل ، والثاني تقرير لكرايج Craig عن عمل عيادة توجيه الطفولة بإكستر Exter ، وما قامت به من تشخيص المشكلات السلوكية لعدد من الأطفال والمراهقين ، ثم من علاجهم وتوجيههم بعد ذلك .

والكتاب يعد محاولة مشمرة لدراسة السلوك الإجرامي على أساس علمي ، وهو جدير بأن يلقى الضوء على كثير من المشكلات الخاصة بالجريمة ؛ وأن يحفز الى دراستها كعارض لمرض جسمي أو عقلي ، يتعب الفرد ويتبدى في علاقته بالمجتمع .

في التصوف وعلم النفس

أيه الفارصه والحب الالهى للدكتور مصطفى محمد حامى

مدرس الفلسفة والتصوف بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول

يقوم التصوف في مجملته ، رياضة أو سلوكاً أو معرفة على التجربة الوجدانية . وليس هذه مما يسهل دراستها دراسة موضوعية ولا مما يمكن أن ينفذ إلى طبيعتها العقل فيكشف عن خصائصها . ومن أجل هذا فقد ظل التصوف ظنيماً عند الباحثين ، يهدمه البعض هدماً تاماً ويرى في أصحابه أحد إثنين : ماجن أو منحرف مريض ، ويعطف البعض الآخر على أهله باعتبارهم فئة قد يكون في تمايزها مما يوجب دراسة أسلوب حياتها من جملة ما خلفه لنا المتصوفة من آثار ولاسيما ما يتفق منها مع ما انتهت إليه البحوث التجريبية أو الاستدلالات المنطقية .

وفي الحالين لا يمكن للباحث أن يصل إلى اليقين ما لم يتخذ من علم النفس أساساً لدراسته ولاسيما ذلك المنهج الذى ينفرد به علم النفس عن سائر العلوم الطبيعية وهو منهج التأمل الباطنى أو النظر النفسى . والبحث وفق هذا المنهج صعب معقد انتقد في كثير من وجوهه وإن كان لا يزال عمدتنا في كثير من بحوثنا . ومن أجل هذا صعبت الدقة في دراسة التصوف في جميع موضوعاته التى ترتبط بعلم النفس ارتباطاً وثيقاً : فهو كرياضة روحية لا بد لأن تقف على طبيعتها من معرفة خصائص الوجدان وما يطرأ عليه من تغيرات يشعر بها المتصوف ويدركها على نحو ما . وهو كسلوك أكثر ما يشير المشرع والاجتماعى ويلجئه إلى محاولة الكشف عن الدوافع التى تدفع كثيراً من المتصوفة إلى الخروج عن المألوف في أساليب الحياة . ودوافع السلوك هذه — كما لا يخفى — من موضوعات علم النفس . وأخيراً نرى التصوف كمعرفة بالكون وباللله لا يقوم على استدلال ولا منطق بل على صدى العاطفة وما تثيره في نفس الصوفى من معان يترجمها ويصيفها بصيغة إدراكية فاذا بهاعقيدة ومبدأ وفلسفة . وهذه العاطفة وصداءها وآثارها في النفس أحد موضوعات علم النفس الهامة . . وكل هذه الموضوعات من أعمق البحوث وأكثرها غموضاً . . .

فهذا الارتباط الوثيق بين التصوف وعلم النفس وهذه الصعوبة التى يجدها الباحث في معالجة موضوعات العاطفة والوجدان هو ما يجعلنا نتناول على صفحات هذه المجلة

موضوع كتاب قيم ظهر حديثاً في التصوف في الوقت الذي تفتقر فيه المكتبة العربية إلى مثل هذه البحوث التي ينهج فيها أصحابها نهج التحليل والتحقيق . مما جعلها تستقبل كتاب ابن الفارض والحب الإلهي باهتمام كبير كفاتحة طيبة ينتظر أن تكون حافزاً قوياً للباحثين من أبناء اللغة العربية ليكملوا هذه المحاولة الجريئة في كشف مدى ما منهج المتصوفة من اعتبار في الوصول إلى الحقائق ، ومدى ما لأسلوبهم العملي من آثار في حياة المجتمع الأخلاقية ، ومدى ما لتأليفهم من خطر في ميدان المعارف الكونية والـميتافيزيقية . ذلك لأن الدكتور محمد مصطفى حلمي عرض لكل هذه الموضوعات عرضاً جامعاً في أسلوب أدبي متمتع ، فلم يفته أن يلم بالنظريات الصوفية المختلفة أثناء مناقشته لآراء ابن الفارض فكان بذلك مرجعاً أميناً .

على أن أهم الآراء التي إنتهى إليها في هذا البحث الإضافي الذي اعتمد في أكثر أجزائه على التحليل النفسي ثلاثة : أولها اتخاذ الأذواق والمواجيد كسبيل لمعرفة اليقينية لا غبار عليه وثانيها اعتبار الحب والمعرفة شيئاً واحداً يلزم عنه منطقياً القول بالجرية ووحدة الوجود والقطبية . وثالثها اتفاق الأديان جميعها في الجوهر واختلافها في الشرع المتغير بتغير الظرف والمكان . فلا معنى للتعصب والفرقة . وهذه النتائج كما ترى خطيرة جداً تحفز على البحث وتدفع إلى الاستقصاء ولا سيما وأن المؤلف أخذ يناقشها من جوانب كثيرة تقيم كل منها مشكلة بذاتها . وإن لم يكن هذا المقام مناسباً لعرضها ومناقشتها فإنا نعد بمعاودة معالجتها بما تستحقه من النقد أو التقدير ، مكتفين الآن بالإشارة إلى أبرز وجه نفسي في هذا البحث خصه الدكتور بعنايته وهو تفسيره أذواق الصوفية ومواجيدها ومناقشته عنها . . على النحو الذي يقول فيه في ص ٤٠ من الكتاب :

« وإذا أردنا أن نفسر أحوال ابن الفارض ومواجيده المشار إليها نقلاً تفسيراً يتمشى ولغة علم النفس الحديث . قلنا إن هذه الأحوال والمواجيد إنما تصدر أكثر ما تصدر عن شعور باطنى عميق يستغرق الحياة النفسية كلها بحيث يوجهها إلى نقطة واحدة يجذب إليها الشعور ويتركز فيها تركيزاً لا يكاد يحده منه مخرجاً ولا عنه منصرفاً . وهنا يصبح صاحب الأحوال والمواجيد ولا شغل له إلا بهذه النقطة يجذب إليها كل محسوساته ومعقولاته ، ويؤول هذه المحسوسات والمعقولات تأويلاً ملائماً لهذه النقطة ملائمة لا يدركها إلا من كابد الأحوال وشرب من كأس المواجيد . وهذا الشعور الباطنى أو كما يسميه الدكتور بيوك Dr. Buke ، عالم النفس الكندى ، بالحاسة العميقة Deeper Sense موجود في كثير من النفوس الإنسانية نجده عند كثير من صوفية الشرق والغرب وعند شعراء هذا وذلك » .

والمؤلف حريص في مناقشته أن يبين أن هذه جميعاً ليست ضرباً من الهذيان أو لوناً من الاضطراب العصبي والحى . وهو بهذا كله انما يقدم مادة خصبة للمشتغلين بهذا الجانب من علم النفس الذى ستعنى هذه المجلة به فيما ستعنى من بحوث . فحبذا لو تكرم الدكتور محمد مصطفى حلمي بفتح باب البحث والمناقشة فى هذا الباب موضعاً لنا ما إذا كانت تعنى هذه الأذواق والمواجيد والرياضات والمجاهدات أسلوباً سوياً للشخصية المتكاملة لا شذوذاً ولا انحرافاً . وما إذا كان ينصح باتخاذ هذا الأسلوب كطريقة عامة للمعرفة نحث عليها الناس ونربى عليها النشء كما نربهم على اتباع المنهج العلمى المنطقى . . . وما إذا كانت حياة الصوفية مما يتفق والحياة الاجتماعية الخلقية . انه بهذا سيفتح باب مناقشة من أمتع المناقشات التى سيفيد منها رأى الاجتماعى العام والرأى التربوى فائدة جلى .

ابراهيم أبو غمر

الكتب المهداة إلى مكتبة المجلة

علم النفس وتطبيقه على التربية : للأستاذ فاخر عاقل — مكتبة العلوم والآداب — دمشق
الحياة الرومية فى الإسلام : للدكتور مصطفى حلمي — من مؤلفات الجمعية الفلسفية المصرية
الشعرانى : للدكتور توفيق الطويل — من مجموعة أعلام الإسلام
الأهموم : للدكتور توفيق الطويل — مكتبة الآداب — القاهرة

مسطرة الطالب الكبرى — للأستاذ يوحنا عبد السيد
رأى فى أبى العلاء — للأستاذ أمين الحولى
علم النفس الاجتماعى — للأستاذ مظهر سعيد